

الفصل السادس

لـ و كـ ان الخـ وف رجـ لاً

أحب أن يعرف الناس أنني
حينما أتحدث إليهم عن قيمة
من القيم فأنتى لأ أتكلم
اعتمادا على قراءاتى
واطلاعى فى الكتب فقط بل
أن معظم هذه القيم مستفادة
أساسا من خبرتى الشخصية
وتجاربى التى مررت بها فى

حياتي الزاخرة بالصراعات والتقلبات .

ما أريده حقا أن أقدم هذه الخبرات والتجارب للناس حتى تتحول إلى علامات مضيئة على طريقنا نحو المستقبل بحيث إن لا يضيع وقتنا أو جهدنا عندما ندخل في طرق مسدودة ومataهات جانبية.. فالوطن في أشد الحاجة إلى هذا الوقت وهذا الجهد حتى يلحق بركاب العصر الذي يسير الآن بسرعة الصواريخ وسفن الفضاء.. لم يعد هناك مجال لتكرار الصراعات والتقلبات والسلبيات والأخطاء فكلها عوامل كفيلة بتحويل عنصر الزمن ضدنا.. والزمن لا يرحم المتقاعسين ولن يترك لهم أى مكان تحت الشمس .

120 وصيتي

من هذه السلبيات التي اعترضت حياتي في مرحلة الشباب المبكر وتخلصت منها بعد ذلك : الخوف .

ربما بدأ الخوف في حياتي من القرية بحكم التقاليد المتوارثة والتي لا ترى إلا العقاب الصارم نتيجة طبيعية لأى خطأ يرتكبه الإنسان وإذا لم يقع عليه العقاب في هذه الدنيا فلا مناص من تطبيقه عليه في الآخرة. وقد ساعدت التربية الدينية التقليدية في القرية على بث هذا الرعب في نفوس الأطفال.. ليس هناك سوى الجحيم في انتظار من يرتكب أى خطأ.. وقد أدى هذا النوع من التعليم إلى ضياع أمل الكثيرين في التوبة لأنه مادام خطأ واحد يفقد الأمل تماماً في اكتساب رضا الله عز وجل فلا حرج إذن في السير على طريق الخطايا إلى نهايته. وكان عريف

الكتاب يصر على ذكر وترديد آيات القرآن التي تتوعد الكافرين بالعذاب الأليم ولا يذكر الآيات الكريمة التي تؤكد رحمة الله الواسعة التي يمكن أن تشمل كل المخطئين مهما فعلوا ماداموا قد رجعوا وتابوا توبة صادقة ؟

“قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا " على سبيل المثال
لا الحصر.

وكان استعدادنا للخوف قد بدأ منذ طفولتنا المبكرة عندما اعتادوا على تخويفنا من الجن والعمالقة والأرواح الشريرة حتى لا نخرج عن طاعة الكبار، وعندما التحقنا بالكتاب كان يطاردنا الخوف من الوقوع فى الخطيئة والعقاب الأليم فى

لو كان الخوف رجلا 121

الجحيم . وبالطبع ترسبت كل هذه العوامل فى نفسى حين نزحت أسرتى إلى القاهرة عام 1924 وكنت فى الخامسة من عمرى.. وبمرور الأيام ازدادت الحساسيات فى نفسى وأثرت على معاملتى للآخرين.. ولعل العامل الأساسى الذى لم يترك لهذه الحساسيات أن تصل إلى نهاية المدى داخل نفسيتى. تلك القيم الأخلاقية التى رسختها القرية فى نفسى وأولها الانتماء إلى الأرض والتآلف والتعاون والتراحم والأيمان بأن الله موجود فى كل الوجود لكى يرعى الإنسان حيثما وجد.

لكن هذه المخاوف تعد عادية لأنها لم تترك أغوارا غائرة فى نفسى. أقول هذا لأننى مررت بتجربة الخوف فى شهر يناير عام 1946 لدرجة أنها وصلت معى إلى مستوى العقدة النفسية التى تترك بصماتها على سلوك الإنسان دون أن يدرى. وظل الحال لى هكذا إلى أن دخلت السجن وأكتشفت ذاتى وبالتالي استطعت بلوغ الأسباب الكامنة وراء هذه العقدة مما جعلها تنحل أخيرا.. أى أننى قمت لنفسى بمهمة المحلل النفسانى الذى يظل يفتش عن العقد حتى يصل إلى مكانها.

فى 11 يناير سنة 1946 على وجه التحديد كان يوم وصول الملك عبد العزيز عاهل السعودية لزيارة الملك فاروق. قبل ذلك بخمسة أيام أى فى السادس من يناير أطلق الرصاص على عميل بريطانيا الأول فى مصر أمين عثمان الذى كان وزيرا للمالية فى وزارة الوفد وأعلن على الملأ أن بريطانيا تزوجت

121 وصيتى

مصر زواجا كاثوليكييا لا يقبل الطلاق أو حتى الانفصال، وأنه حتى لو تركتنا بريطانيا لكان علينا أن نلهث فى أعقابها. قتل أمين عثمان فى نفس الليلة وقبض على الفاعل بعدها بساعات. وحدث أنى كنت على صلة وثيقة بهؤلاء الذين دبروا ونفذوا مقتل أمين عثمان. وكان من الطبيعى أن أتوقع القبض على أنا الآخر بعد أن وقع الآخرون فى قبضة الشرطة فى الأيام التالية للحادث .

ظلت من يوم 6 إلى يوم 11 يناير وأنا أتوقع القبض على.. ومازلت أذكر تماما أن هذه كانت أسوأ فترة يمكن للإنسان أن يمر بها لأنه دائما يتوقع الأسوأ منها، تماما مثلما يقول المثل المصرى " وقوع البلا ولا انتظاره " ولعل من المفيد لشعبى أن أحكى لهم تفاصيل ذلك اليوم 11 يناير حتى يدركوا إلى أى مدى يمكن للخوف أن يسحق الإنسان .

فى ذلك اليوم خرج الشعب المصرى لاستقبال الملك عبد العزيز آل سعود..، وخرجت مع المستقبلين فى ميدان الأوبرا على سبيل الهروب من الأفكار السوداء التى تساورنى خاصة أن الاتهام الذى وجه ضدى فى هذه القضية أنى قمت بتدريب المتهمين على إطلاق النار وإلقاء القنابل اليدوية.. وبالطبع كانت احتياطات الأمن المحيطة بموكب الملك عبد العزيز على أشدها إذ أنه لم يمر سوى خمسة أيام على مقتل أمين عثمان .. صاحب رجال الأمن الموكب مركزين أنظارهم

لو كان الخوف رجلا 123

فى كل اتجاه.. وأحب هنا أن استطرذ وأذكر لأولادنا أن قائد البوليس فى تلك الأيام كان لا يزال بريطانيا- بل أن الكونستبلات الذين كانوا ينطلقون فى الشوارع بموتسكلاتهم كانوا ينتمون إلى نفس الجنسية، وهم الذين قاموا بحراسة موكب الملك عبد العزيز.. طبعاً لم يحضر أحد من أولادنا هذا العهد الذى كانت فيه مصر ذنباً من الأذنان التى تسير فى فلك الإمبراطورية البريطانية التى لا تغرب عنها الشمس .

انتهى موكب الملك عبد العزيز وعاد القلق لينهشنى من الداخل. لكننى لم أجد شيئاً أفعله سوى العودة إلى البيت مع مغيب الشمس إذ أن موكب الملك عبد العزيز كان بعد الظهر. تناولت عشائى ونمت حتى أدفن أفكار القلق والخوف فى الوسادة أو تحت الغطاء.
وعند الفجر وفى عنفوان البرد جاء زوار الفجر.

كنت مستغرقاً فى النوم والدفء.. وفى الثالثة صباحاً فوجئت بنور الغرفة ساطعاً فى عيني بعد أن كانت الغرفة غارقة فى الظلام. طار النوم من جفونى وعاد القلق والاضطراب والخوف فى موجة عارمة لم أعرف لها دفعا.

حول السرير وقف ما لا يقل عن عشرين رجلاً من البوليس السياسى عرفت منهم محمد إبراهيم إمام وضباطه الذين كانت لى معهم خبرة سابقة منذ أن طردت من الجيش وأودعت سجن الأجانب.

124 وصيتى

كان منظر المخبرين المحيطين بالسريير كالكابوس الذى لم أستطع الاستيقاظ منه .
هذا المنظر مرعب وحده فى وضح النهار. فما بالك إذا وقعت عينك عليه وأنت
مستقيظ من النوم فى زمهرير الشتاء وضوء الفجر لم يبرز فى الأفق بعد طبعاً لم
يعبأ أحد من زوار الفجر بأحاسيس هذا الإنسان الذى أحاطوه من كل جانب ، بل
أخذونى من البيت إلى سجن الأجانب ومن هناك تم ترحيلى إلى الزنزانة 54 فى
سجن قرّة ميدان (أو سجن مصر المركزى)

لم تمر تلك الليلة على خير.. اكتشفت فى السجن أننى أصبت بهزة عصبية فى
تكوينى النفسى، ولعل هذا من الأسباب التى جعلتنى بعد ثورة التصحيح أطلب من
ممدوح سالم بصفته وزيراً للداخلية فى ذلك الوقت أن تمتنع أجهزته عن القبض
على أى مواطن فى منتصف الليل أو عند مطلع الفجر.. كانت تعليماتى أن يتم
القبض على الشخص المطلوب القبض عليه فى أثناء النهار .

ومادامت هناك سيادة للقانون فالنيابة هى الجهة المسؤولة عن القبض عليه
وليست أجهزة الشرطة التى لا تملك سوى التنفيذ فقط .



بعد أسبوع واحد فى السجن، لابد أن ينكشف الإنسان على ذاته كما ينكشف أيضا
لآخرين.

ساعدنى على هذا الكشف قراءاتى المتواصلة سواء فى المعتقل أو فى السجن.. وقد
عرفت من قراءاتى فيما بعد دور تجربة السجن فى اكتشاف الإنسان لذاته ولكن بعد
أن كنت قد اكتشفتها عمليا. فهى تجربة تعد من اهتمامات علما النفس الحديث .

فى خارج السجن يغرق الإنسان حتى أذنيه فى دوامات الحياة اليومية فلا يملك
وقتا للتأمل والتفكير المتأنى حتى يكتشف حقيقة ذاته.. وكثيرون يعيشون ويموتون
من غير أن يعلموا لماذا عاشوا وماذا حققوا قبل موتهم .

أما عندما يلقي بالإنسان فى السجن بين جدران الزنزانة الأربع فلا يجد أمامه إلا
أن يختار بين التأمل والتفكير والتعمق فى ذاته وبين الانهيار أو الجنون أو الانتحار.
وكان إصرارى على الاختيار الأول بمثابة الطريق الذى أدى إلى اكتشاف ذاتى .

126 وصيتى

قضيت فى السجن 31 شهرا أى سنتين ونصف سنة وشهرا.. ولم أتخلص من
هذه الهزة النفسية إلا بعد انقضاء سنة ونصف سنة، شعرت فيها أننى غير متوازن
نفسيا وعصبيا وأعصابى يغلب عليها الإجهاد ، ولولا الصلابة الداخلية التى

اكتسبتها من القرية فى طفولتى المبكرة وصباى لكان من الممكن أن أعجز عن تحمل الصدمة.

مع هذه الصلابة والقراءة والتأمل توصلت إلى تحليل العوامل التى أدت إلى هذه الهزة النفسية وطبقا لمنهج التحليل النفسى انحلت العقدة فور إدراك كنهها .
صحيح أننى نشأت فى القرية على ألا أخاف سوى الله عز وجل خاصة أن الخوف عند الفلاحين عيب لا يصح أن يلصق بشخصية الرجل .

ولكن الإنسان هو الإنسان بكل قوته وضعفه ومنذ ذلك التاريخ الذى علمنى درسا لن أنساه وأنا أرفض رفضا باتا أن أسبب خوفا لأحد لأن الخوف عامل أساسى يفقد الإنسان حقه وكيانه فى الحياة كإنسان.. وكلنا نعرف الحكمة التى قالها على بن ألى طالب رضى الله عنه " لو كان الفقير رجلا لقتلته " فهو يقصد بهذا مدى الإذلال الذى يعانى منه الإنسان من جراء

لو كان الخوف رجلا 127

الفقر، لكننى أقول بعد على بن ألى طالب كرم الله وجهه " لو كان الخوف رجلا لقتلته " إذ أننى عانيت منه فوق ما يحتمل البشر، ولا أحب لغيرى من الناس أن يمرؤا بهذه التجربة المريرة التى يمكن أن تدمر الإنسان من الداخل لو لم يمتلك الصلابة الداخلية لتحمل نتائجها وآثارها .

إن مسئوليتى المباشرة عن أبناء هذا الوطن أن أجنبهم ما عانيت منه فى صباى وشبابى.

من هنا كان من الطبيعى أن أبذل جهدى فى تطبيق مبدأ التامين الاجتماعى ونشر مظلته على الجميع، لم يكن لأحد فى أيامى أن يسمع عن هذا، فضلا عن تطبيقه.

فى تلك الأيام كانت التعريفة أو الخمسة مليمات عملة صعبة بالنسبة إلى خاصة عام 1946 قبل القبض على.

إن الإحساس بفقدان الأمان والاستقرار من العوامل التى تجعل من الإنسان ريشة فى مهب الرياح ، وإذا كنت قد تعرضت لهذه التجربة فى عنفوان شبابى، وتركت فى نفسى آثارها السلبية بل والمدمرة، فكيف يكون الحال بالنسبة لآخرين لو مروا بهذه التجربة فى فترات ضعف وانهيار فى حياتهم، وهى فترات كثيرا ما تنتاب الناس بفعل ضغوط الحياة المعاصرة بكل تعقيدات وصراعاتها.

لو كان الخوف رجلا 129

الخوف لا يورث السلبية فقط بل ينتج عنه العديد من الأمراض النفسية. والمجتمع الذى يسيطر عليه الخوف لابد أن يكون مجتمعا سلبيا مليئا بالأمراض والعقد والرواسب التى تمنع الإنسان من الانطلاق فى الاتجاه الصحيح الذى يودى به إلى مستقبل مشرق لوطنه .

أن معركة البناء الداخلى لا يمكن أن تتم والخوف يشل انطلاقة الشعب ، ذلك لانها معركة لا تقل فى ضراوتها عن معركة العبور والتحرير.. ونجاح هذه المعركة رهن بتحقيق الاستقرار..

ومن المهم جدا فى تقديرى- ونحن بصدد تحديد مفهوم الإنسان المصرى والطريق الذى يتحتم عليه أن يشقه- أن أسجل أن الأنتصار الحقيقى فى أية معركة أو ثورة هو حين تتحول إلى نظام واستقرار ، أى عندما تنتقل من مرحلة الشرعية الثورية إلى مجال لشرعية الدستورية .

أن من طبيعىة الثورات وهى تمارس عملية تغيير حادة وضرورية فى المجتمع أن تقترن بالكثير من الإجراءات الاستثنائية التى لا مفر منها والتى تؤثر على إحساس المواطنين بالأمن والأمان، ذلك أن الثورة حدث لا يقع كل يوم ولا كل جيل، إنه حدث استثنائى يصبح حتميا حين تتوافر أسبابه وتتراكم دوافعه وتسد كل وسائل

التغيير الأخرى فى وجه الجماهير، وهو بالتالى يتعامل مع مختلف المصالح والآراء والخلفيات

والارتباطات ويتم عبر غبار كثيف حيث يدور الهدم والبناء والتنقيب والإصلاح .

130 وصيتى

لكن الثورة مهما حققت من نجاحات ، فإن النجاح الأخير لها هو وصولها إلى تحقيق أهدافها . هو أن ينقشع الغبار عن صورة البناء الجديد.. هو حين يشعر الشعب أن مؤسساتها قد اتضحت معالمها، وأن قوانينها العامة قد تبلورت، وأن مبادئها الأساسية صارت جزءا من ضمير الشعب وأن العلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية الجديدة قد أخذت طريقها إلى الاستقرار.

بهذا تصل الثورة إلى بر الأمان، وتصبح نظاما للحياة ومجموعة؟ سائدة من القيم والمبادئ تستمد استقرارها من هندستها الداخلية وتناسقها الذاتى واتساعها لآمال الجماهير وحركتها، ! وليس من إجراءات استثنائية تحميها، ذلك لأن الإحساس بالأمن ينتفى وجوده مع استمرار هذا النوع من الإجراءات .



ليس معنى ذلك أنه قد تم حل مشاكل الجماهير والوفاء بكل متطلباتها، فإن متطلبات كل مجتمع ومشاكله تتطور من يوم ليوم إلى غير ما حد وتحتاج إلى نشاط مستمر لمواجهتها .. ولكن معناه أننا قد عرفنا معالم الطريق، وأرسيينا المنطلقات التي منها نتحرك لمواجهة هذه المشاكل والمتطلبات.

وليس معنى ذلك أيضا أننا وضعنا إطارات جامدة غير قابلة للتطور - إن هذا ضد قوانين الحياة وسوف يظل لكل منا فكره إزاء الظروف المتغيرة، واجتهاده فيها ولكن النقاش والتفاعل والوصول إلى القرارات صارت له قنواته المعروفة المستقرة.. وحتى تغيير القوانين صارت له وسائله الدستورية المحددة يحدث في كل المجتمعات.

هنا أقول أيضا أن ثورة التصحيح كان أساسها ثورة ضد الخوف، ثورة تستمد يبابيعها من هذا الإحساس بوصول ثورة 23 يوليو إلى مرحلة النظام والاستقرار.

132 وصيتي

ولذلك كان جوهرها: تراجع الإجراءات الاستثنائية بشتى صورها، واستقرار القوانين والنظم والمؤسسات والعلاقات فى. إطارات واضحة المعالم معروفة مسبقا

للمواطن، يمارس من خلالها نشاطاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية من أجل تحقيق ذاته وتطوير حياته باستمرار.

ولعل أكبر ماشوه الإنجازات التاريخية الرائعة لثورة 23 يوليو تلك السحابة القاتمة التي انتشرت فوقها نتيجة لفقدان سيادة القانون ولقصور الديمقراطية السياسية.

وإذا كانت الثورة قد أنجزت الكثير في مجال الحرية الاجتماعية ، فإننا بكل أمانة لا بد أن نسلم أن جانب الحرية السياسية لم يتحقق على الوجه الذى يريده الشعب، بل لقد فرضت الأجهزة ومراكز القوى وصايتها على الجماهير وتعددت القيود والإجراءات وشاع الخوف والقلق بين المواطنين.. بل وصل الأمر إلى حد صرف إجراءات التحول الاجتماعى عن هدفها الإنسانى الأصيل واستغلالها لإرضاء أحقاد شخصية أو مصالح مجموعات معينة ، وبدعوى الدفاع عن الاشتراكية تارة وعن أمن الدولة تارة أخرى أغلقت كثيراً من الأبواب وسدت مسالك كان يجب أن تفتح أمام العمل الوطنى. إن من حق كل مواطن أن يأمن على نفسه وعلى رأيه وعلى عمله وعلى كسبه المشروع.

إن الأصل فى كل مواطن افتراض أمانته ما لم يثبت القضاء تطبيقاً للقانون أنه اخطأ فى حق غيره أو فى حق المجتمع .

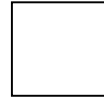
لو كان الخوف رجلا 133

إن شعبنا بالغ رشيد لا يحتاج لوصاية أحد، ومن هنا كان عملي الدؤوب على تصفية مراكز القوى وعلى تحقيق سيادة القانون وإقامة دولة المؤسسات، وتأمين المواطن على يومه وغده. إننا نقدم في جرأة على تطهير المجتمع من الخوف، وعلى تصفية القيود على الحرية من واقع الثقة بالجمهير وبوعياها الوطنى الممتاز، نريد أن نخلص من كل المظاهر التى تعبر عن الريبة فى المواطن أو تنال من إنسانيته أو كرامته أو التى تجعل مصر تتغلق على نفسها على خلاف طبيعتها.

إن من حق شبابنا بالذات أن يدرك هذا التقييم الموضوعى للتجربة ليعرف بالدقة ماذا حقق جيلنا. وماذا كان مقدار جهده، وما تعرض له العمل الوطنى من نواقص وسلبيات ليتخذ عن اقتناع مكانه الطليعى فى حركة العمل الوطنى، بدل أن تمزقه التيارات التى تحاول أن تنكر التجربة جملة وتفصيلا.

ومادام الخوف لم يعد له مكان بيننا. فلم تعد هناك ذريعة لأحد لكى يتقاعس عن العمل الوطنى خاصة فى مجال معركة البناء الداخلى.

134 وصيتى



5

وعندما أتكلم عن الخوف يجب أن يعلم شبابنا أنى أتكلم عن الخوف المرضى. لأن الخوف من أهم الانفعالات الأولية التى منحها الله للإنسان لكى يحافظ بها على

حياته، أما الخوف المرضى فهو خوف شاذ يرتبط فى ذهن الفرد بالخبرات القاسي التي مرت بها حياته، ونسى سببها ولم يعد يذكر منها إلا الصورة الملازمة لها. وغالبا ما يتسبب الخوف المرضى فى عدم قيام العقل بوظائفه العليا على وجهها الصحيح فيؤدى إلى شرود البال وتشتت الانتباه وخطأ التفكير.

أما الخوف الطبيعي فلا يعنى سوى إدراك الإنسان لما فى الموقف الراهن من خطورة واتخاذ الاستجابة الملائمة له. فمن شأنه أن ينشط قوى الفرد الجسمانية والعقلية ويجعله اكثر قدرة على مجابهة الموقف والسيطرة عليه. ولذا فالخوف الطبيعي بدلا من أن يكون عدوا للجنس البشرى يصبح وسيلة لبقائه .

لو كان الخوف رجلا 135

أما الخوف الذى يهدد كيان الفرد ويشل قواه فهو خوف غير طبيعى يرسب فى كيان الإنسان الشعور بالنقص. فالخوف والشعور بالنقص مترادفان من الناحية العلمية لأن الشعور بالنقص عادة ما يكون مصحوبا بالخوف كما أن الخوف يصحبه أيضا شعور بالنقص يكون نتيجة للإحساس العميق بالقمع أو عدم المواءمة. ومن العيب أن ننصح الشخص الذى تسيطر عليه عقدة الخوف الدفينة أن يلتزم إرادته أو أن يسير وفق سلسلة من الإرشادات العقلية كى ينجح ثنى حياته، ذلك أن الإحساس الأول هو أن نتخلص أولا وقبل كل شىء من هذه العقد الكامنة فى أعماق اللاشعور، فإن تم لنا ذلك أمكن أن تؤتى هذه الإرشادات العقلية ثمارها. أما إذا دخلت هذه الإرشادات فى صراع مستمر مع عقد الخوف الدفينة، كانت النتيجة توترا أو ضغطا وتعبا واكتئابا.

إن التربية السليمة الصحيحة فى الطفولة والصبأ المبكر قلما تنتج لدى الفرد اتجاها ضد المجتمع.. من هنا يجب تحليل خبرات تلك المرحلة المبكرة من العمر ومعرفة هذه الخبرات التى أدت إلى تكوين الاتجاهات المناهضة للمجتمع والشعور بالنقص.. فإن تم ذلك بالتحليل الذاتى أو بمساعدة الغير وجب القيام بعملية إعادة تربية الشخصية بأكملها وتدريبها على الثقة بالنفس واحترام الذات والاعتماد عليها.. ويمكن بالجهد المتواصل

136 وصيتى

والصبر والفهم استئصال الأساليب القديمة الخاطئة فى التفكير والإحساس، وغرس طرق إيجابية جديدة.. وتعرف هذه العملية بأسلوب معرفة الذات واحترامها والسيطرة عليها .

أما إذا كان مصدر الخوف هو نقص الخبرة أو الجهل فيجب أن نعلم أن مثل هذه المواقف إنما تحل بنجاح عن طريق العمل والعمل وحده.. قد ينطوى العمل أحيانا على احتمال الفشل إلا أنه ليس ثمة وسيلة أخرى لاكتساب الخبرة والشجاعة والقدرة على السيطرة وعلى الموقف بغير العمل.. أما الهروب من القيام بخبرة ما، لأن الوهم يصور لنا الفشل والارتباك فهذا معناه استسلام الإرادة للخيال الواهم الذي يستطيع العقل المنظم المستنير أن يسيطر عليه.. فمثلا عندما كنا نعد لثورة 23 يوليو 1952 عملنا تقدير موقف طبقا للعلوم العسكرية فوجدنا أنه يوجد 85 ألف عسكري بريطاني في القناة.. أي أن الموقف في غير صالحنا إذا وضعنا في اعتبارنا العوامل غير المنظورة التي قد تنتج عن تحريك هذه القوة البريطانية ضدنا عند قيام الثورة.

معنى هذا أننا لو ركزنا كل تخطيطنا على هذا الاحتمال المتوقع فإننا لن نفعل شيئا على الإطلاق وبالتالي لن تقوم الثورة ، لكننا قررنا القيام بها مع وضع هذا الاعتبار في أذهاننا بحيث لو تحركت القاعدة البريطانية ضدنا فسنتقل بالثورة إلى مرحلة الحرب الشعبيّة ، خاصة أن الملك فاروق كان قد بلغ

قمة الفساد.. واهتزا النظام السياسي والحزبي تماماً، وأصبح الشعب على أهبة الاستعداد لكي يساند أية قوة جديدة تخلصه من هذا الانهيار الوشيك.. وكانت الحكومة البريطانية عاقلة بما فيه الكفاية ، وأدركت هذه الحقائق بحيث لم تتصدر للثورة على أمل أن تحتويها فيما بعد.

138وعتى



**ينطبق نفس المنطق على
قرار 6 أكتوبر.. فقد كانت
كل المقاييس والتقديرات
والاحتمالات والدعايات تؤكد
أن عملية العبور واقتحام**

خط بارليف عملية انتحارية مائة فى المائة ولن تعود على القوات المسلحة المصرية إلا بهزيمة أشد إيلاما وأكثر قسوة من هزيمة ه يونيو 1967.

ولم تكن هذه المقاييس والاحتمالات مجرد حرب نفسيه أو تكهنات مغرضة بل كانت بناء على دراسات علمية مستفيضة خرجت من الحاسبات الإلكترونية التى تمتلكها مراكز السلطة فى عواصم العالم المتحضر.. ولو أننى تركت أذنى وعقلى نهبا لهذه التيارات لكان الخوف من اتخاذ القرار نتيجة طبيعية لهذه التأثيرات والضغوط ، وبالتأكيد كانت توجد عوامل غير منظورة.. لكننى قررت خوض المعركة بحيث أعالج كل عامل من هذه العوامل عندما يبرز فى الأفق .

ومع ذلك لم تكن العملية بالنسبة لى مجرد مخاطرة غير مأمونة العواقب . فقد كان يقينى - طبقا لحساباتى وبدون التأثر بأية

لو كان الخوف رجلا 139

حسابات خارجية أخرى - أننا سننجح وسنثبت أقدامنا - بعد العبور - على الضفة الشرقية للقناة، وسنهدم جدار الخوف الذى تفننت إسرائيل فى إقامته بكل الوسائل الإعلامية والأساليب السيكولوجية منذ انتصارها المزيف فى 5 يونيو 1967. كانت احتمالاتى لنجاح الخطة تزيد عن 80%، وهذا ما حدث بالفعل.

وكان تقديرى أيضا أن وصولنا للمضائق أمر ممكن، ولكن لم تكن الأرض فى خطى بقدر ما هدفت خطى لضرب نظرية الأمن الإسرائيلية، وتقويض المجتمع الإسرائيلى بالتالى بسقوط هذه النظرية من داخله، وهذا ما وقع بالفعل، وما زالت موجاته تغرق إسرائيل حتى الآن ولا تستطيع لها دفعا، فقد أنهت حرب أكتوبر جيل الحرس القديم الذى قامت إسرائيل على أكتافه .

إن كان من الأهداف الأساسية لحرب أكتوبر هدم جدار الخوف من أساسه عن طريق العبور ووقوفنا على الضفة الشرقية للقناة، وهذا ما دعانى فى وقت من الأوقات لكى أقول لعبد الناصر على سبيل المجاز أن اقتحامنا القناة ووقوفنا على مجرد 10 سم من الضفة الشرقية للقناة كفى بأن يغير الموقف دوليا سواء على المستوى الغربى أو الشرقى أو العربى .

140 وصيتى

وبالطبع كان عبد الناصر مدركا لهذا تماما، ولكنه كان حذرا بحيث كان اعتباره منصبا أساسا على حساب الخسائر و المخاطر.

ولكن استراتيجيتى كانت مختلفة بحيث تحولت الـ 10 سم إلى 15 كيلو مترا تقريبا.. ثم فى المرحلة الثانية وصلنا إلى المضائق، وبهذا جنينا ثمار المعركة كاملة بنصف معركة فقط .

أقول هذا الكلام لكي أؤكد عمليا أن الاستسلام للمخاوف والأوهام كفيلا بأن يجعل الإنسان يقبع في عقر داره مشلول التفكير والإرادة .

وحتى في هذه الحالة لن تتركه المخاوف والأوهام في حالة ، بل ستطارده إلى أقصى ركن في داره لأنه استسلم لها في بادئ الأمر وهي لا ترضى إلا بالاستسلام الكامل . ولذلك يتحتم على الإنسان في حالة استسلامه للخوف . كنتيجة لفشله في مهمته أن ينهض مباشرة من عثرته وبهذا الاتجاه الشجاع يمكن أن يحتفظ بأعصابه ويحقق نتائج أروع من التي كان يتمنى تحقيقها.

فالفشل هو أول خطوة في الطريق المؤدى إلى النجاح . . ويكاد يجمع كل علماء النفس على أن العلاج في جميع الحالات المرضية الناتجة عن الخوف إنما هو بأيدي أصحابها.

والخوف الذي يكدر على الإنسان صفو حياته ويكاد يشل

تفكيره، عبارة عن إحساس غامض بأن شيئاً ما سوف يحدث ص له دون أن يكون مهيناً لاستقباله أو الاستعداد له.. وهذا الإحساس يرجع أساساً إلى ما أحدثته المدنية الحديثة من ضغط وتوتر في نفس الإنسان.. فقد أصبحت الحياة في نظر معظم الناس أمراً بالغ التعقيد، كما أن كل مظهر من مظاهرها يهدد بناء الشخصية الإنسانية، فالإنسان المعاصر ينبغي من الناحية الاجتماعية تأكيد ذاته ومنحها المزيد من التقدير، ولذلك يخاف أشد الخوف أن يفقد شيئاً من الهالة التي أحاط بها نفسه. كما أنه يعيش من الناحية الجسمية في فزع دائم من أن يصيبه مرض يقعه.. وبالمثل من الناحية الاقتصادية يعيش في خوف وقلق مستمرين من أن يفقد ثروته نتيجة خطأ قد لا يكون هو المتسبب في إحداثه .



فى هذا العالم المتمددين
المعاصر يعيش الإنسان
تحت ظروف من الضغط
والتوتر والخوف من
المجهول الذى يهدد كيانه
فى أية لحظة من لحظات
يومه.. ولكن مع كل هذا
التوتر والخوف فإن عليه
واجباً يتمثل فى المحافظة

على كيانه النفسى والروحى لكى يعيش فى اتساق وونام مع بيئته.. ولن يتأتى له ذلك إلا بـرجوعه إلى حظيرة الأيمان .

إن الاعتقاد - عند معظم علماء النفس والمفكرين - يزداد اليوم بأن معظم حالات
الخوف المرضى ترجع إلى هذه الحقيقة وهى أن فقدان الثقة بالله يفقد الإنسان ثقته
بنفسه وبمن حوله .. وضعف هذه الثقة يجعل الإنسان عندما تواجهه أزمة من
الأزمات أو مشكلة لا قوة له على احتمالها يلتمس سبل اليأس فيلجأ إلى الشراب
والمخدرات أو الانتحار وقد يصل الأمر به إلى الجنون .. وهذا ما يحدث الآن فى
بلاد الحضارة المعاصرة التى بلغت فيها المدنية المادية
قمتها ، بينما جفت ينابيعها

الروحية أو كادت.. ولذلك أصبح إنسان هذه الحضارة مطحونا ضائعا على الرغم من كل مظاهر الترف المادى المحيط .. ويقول عالم النفس الأشهر كارل يونج أن جميع مرضاه ممن تخطوا الخامسة والثلاثين من عمرهم كانوا يلجأون آخر الأمر إلى الدين فى حلهم لمشكلاتهم.. ويقول أيضا إن ما يعانيه الواحد منهم من مرض نفسى إنما هو نتيجة فقدانه هذا القدر من اليقين الذى يمنحه الدين لمعتنقيه . وأن شفاء الواحد منهم مرده إلى استرجاع ما فقد من نظرة دينية إلى الأمور. ويؤكد عالم النفس الإنجليزى هادفيلد نفس الرأى بعد سنوات طويلة من التجارب والدراسة فى علم النفس العلاجى حين يقول: " عندما أتحدث كمعالج نفسى - لا دخل له بالدين - فأنتى أذهب إلى القول بأن الدين يعتبر أحد القوى المؤثرة الهامة التى يمتلكها الإنسان للوصول إلى الراحة والسلام العقلى والروحى، وإلى حالة الطمأنينة النفسية التى نحن فى أمس الحاجة إليها لإقرار الصحة والعافية بالنسبة لعدد كبير من مرضى الخوف وضحاياه. لقد حاولت علاج مرضى الخوف بالإيحاء إليهم بالثقة والإخلاق إلى الهدوء ولكن دون جدوى إلى أن ربطت بين الاتجاهات والثقة فى قدرة الله.. مصدر اليقين والأمل.. من هنا كان المريض يتحسن ويشعر بالقوة تعود إلى أعصابه الخائرة تدريجا. لذلك نحن نحتاج إلى اليقين من أجل التغلب على الخوف الذى تمتلى به نفوسنا ، ولو أن

إنسانا

خاف الحياة فهل تستطيع قوة على الأرض - أيا كانت و كان اسمها - أن تحول ما لديه من خوف إلى ثقة وعزم وشجاعة ؟

لقد توغل علم النفس الحديث فى دراسة مخاطر الخوف التى تهدد إنسان العالم المعاصر بحيث أصبح عاجزا عن مساعد نفسه بنفسه وإلا لما بقى على ما هو عليه من عجز ويأس وقد قال عالم النفس (أدلر) إن الشعور بالخوف وفقدان الأمن شعور عام فى النفس البشرية ، ومن ثم فإن الإنسان طبقا لتكوينه النفسى- يكون فى حاجة إلى قوة تفوق فى قوتها قوه البشر من أجل تدبير أمور حياته.. لذلك فالدين الحق يمنح الإنسان الشعور بالأمن ويحول ضعفه وخوفه ثقة ويقينا.. والمؤمن الحق يشعر بأن كل قوى العالم تقف لمساعدته، وعن طريق هذا اليقين وهذه الثقة يظل بعيدا عن اليأس والقلق و الخوف .

